2024

فينيق
PHOENIX

واقع المرأة الفلسطينية بعد أحداث السابع من اكتوبر وفي ظل الحرب 2023-2024

"التحديات الأمنية والحياتية والمعاناة المعيشية"

مركز فينيق للأبحاث والدراسات الحقلية

د. منصور أبو كريم
باحث في الشؤون السياسية والعلاقات الدولية

مركز فينيق للأبحاث والدراسات الحقلية

و اقع المرأة الفلسطينيَّة بعد أحداث السابع من أكتوبر وفي ظل الحرب ٢٠٢٣-٢٠٢٤

(التَّحدِّيات الأمنيَّة والحياتيَّة والمعاناة المعيشيَّة)

د. منصور أبو كريم

باحث في الشؤون السياسية والعلاقات الدولية

غزة - فلسطين

مايو ٢٠٢٤

المحتويات

رؤيتنا ٣

رسالتنا ٣

مقدمة ٤

أولًا: الأوضاع الأمنيَّة والسِّياسيَّة للمرأة الفلسطينيَّة خلال الحرب. ٥

ثانيًا: الأوضاع الاقتصاديَّة والصحيَّة للمرأة الفلسطينيَّة خلال الحرب. ١٠

ثالثًا: الأوضاع الاجتماعيَّة والنفسيَّة للمرأة الفلسطينيَّة خلال الحرب. ١٥

خاتمة ٢١

رؤيتنا

مؤسَّسة فلسطينيَّة مستقلَّة غير ربحيَّة، تأسَّست في إطار مسؤوليتها تجاه المجتمعات الفلسطينيَّة لتلبية احتياجاتهم السِّياسيَّة والاقتصاديَّة والاجتماعيَّة من خلال تقديم خدمات بحثيَّة عميقة، تعمَلُ على تمكين المجتمع الفلسطيني على المستوى الفردي والجماعي، ومعالجة تحدِّياته المختلفة.

يعمل المركز على استخدام أساليب متنوعة لجمع البيانات الكميَّة والنَّوعيَّة لمعالجة الأزمات السِّياسيَّة والاقتصاديَّة والاجتماعيَّة الَّتي يعاني منها المجتمع الفلسطيني، من خلال عدة برامج ومشاريع بحثيَّة سنويَّة وشهريَّة لتقديم تصوُّرات علميَّة وعمليَّة لصانع القرار الفلسطيني. من أجل اتخاذ الإجراءات اللَّازمة لمعالجة التحدِّيات المختلفة.

رسالتنا

دعم كافة الجهات والشَّرائح الفاعلة في المجتمع الفلسطيني وصناع القرار الفلسطيني بدراسات حقليَّة ودقيقة، مبنيَّة على مسوحات علميَّة ومنهجيَّة، تتَّسم بالشَّفافيَّة والمصداقيَّة والحياديَّة في كافَّة التَّخصُّصات والمجالات الحيويَّة.

مقدمة

تؤثر الحرب في النساء والرِّجال بشكل مختلف؛ ولكن النساء والأطفال يعانون بشكل غير متناسب أثناء الحرب وبعدها، فغالبًا ما يكون النساء والأطفال أكثر الفئات ضعفًا وأكثر عرضة للإصابة، حيث تضطرُّ النساء اللاتي نجون من هذه الفظائع إلى العيش مع الصُّور الحيَّة والمرعبة للحرب والموت طوال حياتهن، كما يواجهن مهمة شاقة تتمثَّل في الحفاظ على تماسك العائلات بعد النُّزوح، وتوفير الطَّعام والملبس والمأوى لأطفالهنَّ وعائلاتهنَّ في ظلِّ وجود البنية التحتيَّة المدمَّرة، وهو ما يحدث بشكل كامل داخل فلسطين، حيث عانت المرأة الفلسطينيَّة من ويلات الحرب ابتداءً من النَّكبة عام ١٩٤٨ إلى الآن، سواء كانت معاناة مباشرة تجاه المرأة أو غير مباشرة من خلال الآثار السِّياسيَّة والاقتصاديَّة والاجتماعيَّة الَّتي خلّفها الاحتلال، وأدَّت إلى تدهور الوضع الإنساني والاجتماعي والاقتصادي والأمني داخل الأراضي الفلسطينيَّة، ممَّا أسهم بشكل كبير في سوء أوضاع النِّساء الفلسطينيَّات من حيث السَّلامة والأمن، والحصول على أبسط حقوقهن من الخدمات الأساسيَّة كالتعليم والصحة، إلى جانب الأعباء المضافة التي تتحملها النساء عند استشهاد أو اعتقال أحد أفراد الأسرة، وتتحول في معظم الحالات إلى المعيلة الوحيدة للأسرة.

تعاني المرأة الفلسطينيَّة في قطاع غزة وضعًا مأساويًّا في ظلِّ استمرار العدوان الإسرائيلي على قطاع غزَّة، فمنذ اندلاع الحرب والعدوان على قطاع غزة عقب قيام حركة حماس بعمليَّة طوفان الأقصى في السَّابع من أكتوبر ٢٠٢٣ بدأت معاناة المرأة الفلسطينيَّة في قطاع غزَّة تزداد سوءًا، حيث وضعت الحرب المجتمع الفلسطيني بكامله، والمرأة الفلسطينية تحديدًا أمام تحديات كبيرة وصعوبات جمّة، على المستوى الأمني والاقتصادي والصحي والاجتماعي والنفسي، كما أدَّت الحرب إلى مقتل أكثر من ١٠ آلاف امراة فلسطينيَّة، وجرح أعداد أخرى حتى إعداد هذا التقرير.

على الدوام شكَّلَتْ الأوضاع الأمنيَّة وإجراءات الاحتلال الإسرائيلي تحديات كبيرة وجمّة أمام المرأة الفلسطينية، خاصَّة أنها مازالت تُقدِّم المزيد من التضحيات، سواء على مستوى النِّضال السِّياسي والوطني، أو على مستوى النِّضال المجتمعي، في ظل استمرار الاحتلال الإسرائيلي للأراضي الفلسطينيَّة.

وفي هذه الورقة سوف نسلط الضَّوء على واقع المرأة الفلسطينيَّة في ظلِّ الحرب الإسرائيليَّة في كامل الأراضي الفلسطينيَّة عامة، وفي قطاع غزة تحديدًا، حيث ألقت الحرب على غزَّة والاقتحامات المستمرَّة في الضَّفَّة الغربيَّة بتداعيات خطيرة على واقع المرأة الفلسطينيَّة، على المستويات الأمنيَّة والاقتصاديَّة، والصِّحيَّة، والمعيشيَّة، والنَّفسيَّة.

أولًا: الأوضاع الأمنيَّة والسِّياسيَّة للمرأة الفلسطينيَّة خلال الحرب.

وضعت الحرب المجتمع الفلسطيني بكامله - وخاصَّة المرأة الفلسطينيَّة - أمام تحدِّيات وصعوبات جمَّة، فقد أدَّى العدوان الإسرائيلي وحرب الإبادة الجماعيَّة الَّتي تشنُّها إسرائيل على قطاع غزَّة إلى مقتل أكثر من ١٠ آلاف سيِّدة فلسطينيَّة-حتَّى الآن-، نتيجة الاستهدافات المباشرة للمباني والمنازل والمنشآت الحيويَّة الفلسطينيَّة.

لم يكن وضع المرأة الفلسطينيَّة في قطاع غزة قبل الحرب أفضل حالًا؛ لكن جاءت الحرب والعدوان الإسرائيلي المستمر لكي يضعا المرأة الفلسطينيَّة أمام تحدِّيات كثيرة تتعلَّق بخطورة الوضع الأمني والسِّياسي في القطاع، في ظلِّ استمرار حرب الإبادة الجماعيَّة.

واقع المرأة الفلسطينيَّة قبل الحرب لم يكن أفضل حالًا، في ظلِّ الوضع السِّياسي السَّيِّئ بسبب الحصار والانقسام، وتردِّي الأوضاع الاقتصاديَّة والاجتماعيَّة، رغم ذلك نجحت المؤسَّسات النسويَّة في تَغيير بعضِ المفاهيم وبعض القوانين؛ لكن الحرب غيرت كل المفاهيم، فلم يعد للمرأة منظومة الحقوق التي اكتُسِبَت خلال السَّنوات الماضية، فالحرب وضعت النساء أمام واقع أليم على المستوى الأمني والسياسي، نتيجة استمرار الحرب والعدوان[١]، فأوضاع المرأة في ظلِّ الحرب غاية في الصُّعوبة والتَّعقِيد بسبب فقدان البيت الآمن، نتيجة كثرة التنقل والنزوح، فمعظم النساء تعيش الآن في مراكز إيواء، وهي تفتقد لأدنى مقومات الحياة وغير مؤهلة، كما تقوم بأعمال شاقَّة في تحضير الطَّعام ونقل المياه وغسيل الملابس على الأيادي، مما يؤدي لمضاعفات كثيرة لدى النِّساء[٢]، وتتجرَّع النِّساء الفلسطينيَّات في غزَّة مرارة الحرب بقسوة، ويخاطرن بحياتهن في سبيل إطعام أطفالهنَّ، بينما فقدت أخريات الحياة من ألم الولادة في غياب أدنى شروطها الطبيَّة، وبلغة الأرقام - خلال هذه الحرب على غزة- تُستشهد ٦٣ امرأة بينهن ٣٧ من الأمَّهَات يوميًّا، كما تستشهد ٢ من الأمهات كل ساعة وفق أرقام أمميَّة، ومنذ ٧ أكتوبر/تشرين الأول الماضي نزح ١.٩ مليون نسمة بينهن نحو مليون امرأة وفتاة، وهناك ما لا يقل عن ٣ آلاف امرأة أصبَحْنَ أرامل ويحاولن إعالة أسرهنَّ، في ظلِّ عدم توفر أماكن آمنة للناجِيات بالقدر الكافي، وتتفاقم صعوبات النِّساء في ظلِّ النَّقص في الغذاء وفقدان نساء أزواجهنَّ ومعيلي أسرهن، ورغم ذلك يواصلن رحلة البحث عن الطعام وإعالة الأسر وحماية الأبناء[٣]، ولا شكَّ أن واقع المرأة الفلسطينيَّة قد ازداد سوءًا خلال الحرب، نتيجة الصُّعوبات الأمنيَّة والحياتيَّة الَّتي تمخَّضَت عنِ العدوان الإسرائيلي المستمرِّ على

---

(١) مقابلة: مها، المصري، منسقة مكتب غزة لجمعية المرأة الريفية، دير البلح فلسطين ١- مايو-٢٠٢٤.

(٢) مقابلة: تغريد، جمعة، رئيس مجلس إدارة جمعية عايشة للمرأة والطفل، رفح فلسطين ٣- مايو ٢٠٢٤.

(٣) تقرير: يتجرعن مرارة هائلة.. تعرف بالأرقام على معاناة نساء غزة خلال الحرب، الجزيرة نت، الدوحة، ٨ مارس ٢٠٢٤، متاح https://m-r.pw/LXEG.

قطاع غزَّة، حيث ألقت الحرب بتداعيات كبيرة على عاتق المرأة التي تحملت العبء الأكبر على المستوى الحياتي والمعيشي خلال الشُّهور الماضية، التي مرت ثقيلة على كاهل النِّساء[١].

هيئة الأمم المتحدة للمرأة قالت: إنَّ أكثر من عشرة آلاف امرأة قُتلنَ في غزَّة، وأنَّ النَّاجيات من القصف والعمليَّات البريَّة الإسرائيليَّة قد تشردْنَ وأصبحْنَ أرامل ويُواجِهْنَ المجاعة، مما يجعل الحرب على غزَّة أيضًا حربًا على النِّساء، وفي أحدث منشور لها - في سلسلة إنذارات حول قضايا النوع الاجتماعي في غزة- قدَرَتِ الوكالة التَّابعة للأمم المتحدة أنَّ من بين النساء اللاتي قُتلن في غزة ستة آلاف أم، بسبب قتلهن يُتِّمَ ١٩ ألف طفل، بالإضافة إلى ذلك لا تستطيع أكثر من مليون امرأة وفتاة فلسطينيَّة في غزَّة الحصول على الغذاء أو المياه الصالحة للشرب بعد ستة أشهر من الحرب، مع تزايد الأمراض وسط ظروف معيشيَّة غير إنسانية، وقالت المديرة الإقليميَّة للوكالة في الدُّول العربيَّة (سوزان ميخائيل) - خلال مؤتمر صحفي بجنيف- : " إنَّ الحرب في غزة هي بلا شكَّ حرب على النِّساء اللَّواتي يدفعْنَ ثمنًا باهظًا لحربٍ ليسَتْ من صُنعهنّ"، وقالت هيئة الأمم المتحدة للمرأة: إنَّ السَّلام وحده هو الَّذي يمكن أن ينهي المعاناة[٢].

عشية يوم المرأة العالمي في ٨ من آذار ٢٠٢٤: أكدت بيانات الجهاز المركزي للإحصاء أن ٩ آلاف أنثى قُتلن بأيدي الاحتلال الإسرائيلي منذ بدء العدوان على قطاع غزة، في ٧ أكتوبر (تشرين الأول) الماضي، ويوضح تقرير تفصيلي أصدره الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني حول أوضاع المرأة الفلسطينيَّة في اليوم العالمي للمرأة: أن عدد الشهيدات منذ بداية العدوان على قطاع غزة بلغ ما يزيد عن ٩ آلاف شهيدة من إجمالي عدد الشهداء البالغ ٣٠,٧١٧ شهيدًا، كما أن ٧٥% من إجمالي عدد الجرحى والبالغ ٧٢,١٥٦ جريحًا هم من الإناث، فيما تشكِّل النساء والأطفال ما نسبته ٧٠% من المفقودين في قطاع غزة- نتيجة العدوان الإسرائيلي-، والبالغ عددهم ٧٠٠٠ شخص[٣].

كما أشار التقرير ذاته إلى أنَّ الإناث يشكِّلْنَ نصف النَّازحين من أماكن سكنهم في قطاع غزَّة بسبب ظروف الحرب، حيث بلغ العدد الإجمالي للنازحين حوالي ٢ مليون شخص، وحول أوضاع النِّساء خلال التَّصعيد في الضَّفَّة الغربيَّة والقدس أوضح التقرير أنه استشهد ٤٢٣ شهيدًا تزامنًا مع العدوان على قطاع غزة، منهم ٤ شهيدات، كما تناول التقرير تبعات التهجير القسري من المساكن في الضَّفَّة الغربيَّة والقدس على النساء، "حيث تم تهجير ٥٩٢ فلسطينيًّا من المناطق المصنفة (ج)

---

(١) مقابلة: حنين، عاشور، ناشطة مجتمعية وسياسية، دير البلح ٥-٥، ٢٠٢٤.

(٢) هيئة الأمم المتحدة للمرأة: الحرب على غزة هي حرب على النساء، موقع الأمم المتحدة بالعربي، ١٦ أبريل ٢٠٢٤، متاح https://news.un.org/ar/story/2024/04/1130081.

(٣) أوضاع المرأة الفلسطينية عشية يوم المرأة العالمي، ٢٠٢٤/٠٣/٠٨، الجهاز المركزي للإحصاء، رام الله فلسطين، ٧ مارس ٢٠٢٤، متاح https://www.pcbs.gov.ps/postar.aspx?lang=ar&ItemID=4707.

والقدس الشرقية في أعقاب هدم منازلهم بحجة عدم الترخيص، إضافة إلى تهجير ٨٣٠ فلسطينيًّا بعد تدمير ١٣١ منزلًا خلال العمليَّات التي نفذتها القوات الإسرائيليَّة في شتَّى أرجاء الضَّفَّة الغربيَّة، حيث شهدت مخيمات جنين ونور شمس وطولكرم للَّاجئين نحو ٩٥% من حالات التهجير"[١].

أخطر أشكال الانتهاكات الأخيرة بحق النساء في قطاع غزَّة والضَّفَّة الغربيَّة هي الاعتقالات المتصاعدة التي تنفذها سلطات الاحتلال ضد النساء، خاصة في ظلِّ خطورة وضع المعتقلات في المناطق التي دخلتها قوات الاحتلال في غزة، إذ لا يوجد معلومات دقيقة عن أعداد المعتقلات وأماكن احتجازهن، كما أنَّ المعتقلات المتواجدات داخل السُّجون حاليًا يتعرضْنَ لأشكال خطيرة وغير مسبوقة من الانتهاكات والتعذيب والترهيب.

في تفاصيل أوضاع المعتقلات الفلسطينيَّات أصدرَتْ مؤسَّسات الأسرى (هيئة شؤون الأسرى والمحرَّرين، ونادي الأسير الفلسطيني، ومؤسسة الضمير لرعاية الأسير وحقوق الإنسان) تقريرًا أكدت فيه أنَّ "عمليَّات اعتقال النِّساء - ومنهن القاصرات- من أبرز السِّياسات الَّتي انتهجها الاحتلال وبشكل غير مسبوق بعد السَّابع من أكتوبر، حيث بلغ عدد حالات الاعتقال بين صفوف النساء بعد السَّابع من أكتوبر نحو ٢٤٠، ويتضمَّن هذا المعطى النساء اللواتي تعرَّضْنَ للاعتقال في الضَّفَّة بما فيها القدس، وكذلك النِّساء من الأراضي المحتلة عام ١٩٤٨، فيما لا يوجد تقدير واضح لأعداد النِّساء اللواتي اعتقلْنَ من غزَّة، حيث أفرج عن عدد منهن لاحقًا، إلَّا أنَّه من المؤكد أن هناك نساءً ما زلْنَ معتقلات في معسكرات الاحتلال، وهُنَّ رهن الإخفاء القسري"[٢].

وبيّنت هذه المؤسَّسات في تقريرها: "أنه - وحتى إصدار هذا التقرير- بَلَغَ عدد الأسيرات القابعات في سجون الاحتلال - وغالبيتهن محتجزات في سجن (الدامون) -: ٦٠ أسيرة، بينهن أسيرتان من غزَّة يقبعن في سجن (الدامون)، فيما نؤكد مجددًا أنه لا معلومات حول أعداد أسيرات غزة في معسكرات الاحتلال الإسرائيلي"، كما "أكَّدت مؤسَّسات الأسرى أنَّ إحدى أبرز الجرائم الَّتي نفَّذتْهَا قوات الاحتلال الإسرائيلي بحق النساء الفلسطينيَّات - ومنهن الأسيرات - الاعتداءات الجنسيَّة، والتي تضمَّنَتْ التَّحرُّش والتّفتيش العاري، إضافة إلى التهديد بالاغتصاب، هذا بالإضافة إلى إعلان الأمم المتحدة في بيان رسمي لها عن وجود تقارير موثوقة بتعرُّض معتقلات من غزَّة للاغتصاب". [٣] كما أفادَتْ شهادات لنساء فلسطينيَّات - تعرضْنَ للاعتقال لدَى الجيش الإسرائيلي- أنهنَّ تعرضْنَ

---

(١) أوضاع المرأة الفلسطينية عشية يوم المرأة العالمي، ٢٠٢٤/٠٣/٠٨، الجهاز المركزي للإحصاء، رام الله فلسطين، ٧ مارس ٢٠٢٤، متاح https://www.pcbs.gov.ps/postar.aspx?lang=ar&ItemID=4707.

(٢) المرأة الفلسطينية في يومها.. عندما تسقط الشعارات أمام رافعيها، وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية وفاء، ٧ مارس ٢٠٢٤، متاح https://wafa.ps/Pages/Details/91515.

(٣) المرأة الفلسطينية في يومها.. عندما تسقط الشعارات أمام رافعيها، وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية وفاء، ٧ مارس ٢٠٢٤، متاح https://wafa.ps/Pages/Details/91515.

للمضايقات خلال فترة احتجازهنَّ من قبل الجيش الإسرائيلي، حيث عانت النِّساء الفلسطينيَّات في ظلِّ هذه الحرب من الاعتقال التعسُّفي والإيقاف في طريق النزوح، حيث تم توثيق اعتقال أكثر من خمسين امرأة من قطاع غزة من ضمنهم مُسنَّات ورضيعات، وحسب ما وصل من شهادات فإنهنَّ يتعرضْنَ إلى التَّنكيل وسوء المعاملة في ظلِّ تعتيم كامل عن مصيرهنَّ من قِبَل الاحتلال[١].

كما قالت مديرة أكاديميَّة المسيري للبحوث والدراسات في قطاع غزة الباحثة إسلام شحدة العالول: " إنَّ أفظَعَ ما تتعرَّض له المرأة الفلسطينيَّة بشكل خاص هو التحقيق والتفتيش العاري والاعتقال وإهانة إنسانيتها"[٢].

رئيسة الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني(علا عوض) ذكرت أنه خلال عام ٢٠٢٣ اعتُقلت ٣٠٠ امرأة من الضَّفَّة الغربيَّة، ٢٠٠ منهنَّ منذ بدء العدوان الإسرائيلي على قطاع غزَّة، وفي محافظة القدس اعتقل الاحتلال ١٦٥ امرأة منهن ٨٤ خلال العدوان الإسرائيلي على قطاع غزة، وعلى مستوى قطاع غزة لا تتوفر معطيات دقيقة في ضوء جريمة الإخفاء القسري التي يُواصِل الاحتلال تنفيذها بحقِّ معتقلات غزة، كما تشير بيانات هيئة شؤون الأسرى إلى أنَّ الاحتلال الإسرائيلي ما زال يعتقل ٥٦ معتقلة في سجونه بواقع ٤٤ معتقلة من الضَّفَّة الغربيَّة، و٣ معتقلات من قطاع غزة، و٩ معتقلات من داخل أراضي ٤٨، منهن ٥ معتقلات صدرَتْ بحقِّهنَّ أحكام، و٤٠ معتقلة موقوفة، و١١ معتقلة قيد الاعتقال الإداري، وبين المعتقلات القابعات في سجون الاحتلال قاصرتان.[٣]

على المستوى السياسي أعادَتْ الحرب المرأة ونضال المرأة السِّياسي والاجتماعي لنقطة الصفر، فبعد الإنجازات والنَّجاحات الَّتِي حقَّقتْها المرأة في سبيل تعزيز وجودها السياسي والمجتمعي جاءت الحرب لكي تضع كل هذه الإنجازات في مهب الريح، وأصبح الهم الأكبر للمرأة والمؤسسات النَّسوية هو توفير الحماية والحاجات الأساسية من مأكل ومشرب وملبس وفق هرم مثلو[٤]، وأسهمت الحرب في تراجع منظومة الحقوق والمكتسبات التي حقَّقَتْها المرأة الفلسطينيَّة في قطاع غزَّة خلال السَّنوات الماضية، فتراجع التركيز على قضايا حقوق المرأة لصالح قضايا الإغاثة والتركيز على جهود الطوارئ في العمل المؤسساتي، مما أدَّى إلى زيادة حِدَّة العنف المبني على النَّوع الاجتماعي، والطلاق،

(١) لوزان صالح، أمين عفانة، تقرير حول الانتهاكات التي تتعرض لها النساء الفلسطينيات في ظل الحرب بالنظر في نصوص القانون الدولي، الهيئة المستقلة لحقوق الإنسان، رام الله فلسطين، ٢٠٢٤، متاح https://m-r.pw/vsVr.

(٢) الباحثة إسلام العالول: المرأة الفلسطينية أكثر من يعاني في الحرب على غزة، الجزيرة نت، ١١ أبريل ٢٠٢٤، متاح https://2u.pw/Ety9ny4U.

(٣) معاناة مضاعَفة للمرأة الفلسطينية خلال حرب غزة، جريدة الشرق الأوسط، لندن، ٧ مارس ٢٠٢٤، متاح https://2u.pw/AVluGvb8١.

(٤) مقابلة: مها المصري، منسقة مكتب غزة لجمعية المرأة الريفية، دير البلح فلسطين ١-٥-٢٠٢٤.

واختطاف الأبناء من أمهاتهم، في ظلِّ غياب الجهاز الشرطي القادر على توفير الحماية للنِّساء ووقف الاعتداءات بحقهن[١].

على المستوى الأمني عانت المرأة الفلسطينيَّة كثيرًا نتيجة تداعيات حرب الإبادة الجماعيَّة الَّتي تشنُّها إسرائيل، ليس فقط تجاه قطاع غزة؛ بل تجاه كامل الأراضي الفلسطينيَّة، حيث وضعت الحرب والعدوان الإسرائيلي المرأة أمام واقع مأساوي من ناحية توفير الأمن الشَّخصي والأمن الغذائي للأسرة.

(١) مقابلة: تغريد، جمعة، رئيس مجلس إدارة جمعية عايشة للمرأة والطفل، رفح فلسطين ٣- مايو ٢٠٢٤.

ثانيًا: الأوضاع الاقتصاديَّة والصحيَّة للمرأة الفلسطينيَّة خلال الحرب.

أفضَت الحرب والعدوان الإسرائيلي على قطاع غزة إلى أوضاع كارثيَّة على المستوى الاقتصادي والصحي للمرأة الفلسطينية، حيث باتَتْ تعاني بشدة من نقص المواد الغذائية وارتفاع الأسعار، وعدم توفُّر الخدمات الصحيَّة الطبيعيَّة، خاصَّة للنِّساء الحوامل والمرضي من الأطفال وكبار السن، حيث أدَّى استمرار المعارك العسكريَّة لأكثر من ٨ أشهر إلى وضع إنساني كارثي، في ظلِّ استمرار المعاناة نتيجة نزوح أكثر من مليون ونصف من المواطنين من شمال قطاع غزة، حيث يعاني النازحون من أوضاع إنسانيَّة كارثيَّة، نتيجة نقص الغذاء والدَّواء، وبقائهم في خيام بدون أدنى مقوَّمات الحياة لفترة طويلة.

وتعاني المرأة الفلسطينيَّة في ظلِّ استمرار الحرب أوضاعًا اقتصاديَّة وصحيَّة غاية في الصعوبة والتعقيد، في ظلِّ الارتفاع الجنوني لأسعار المواد الغذائيَّة، فقد اضطرَّتِ المرأة الفلسطينيَّة - في كثير من الحالات- إلى النَّوم بدون عشاء، أو اقتصار طعام الأسرة على وجبة واحدة أو وجبتين على أكثر تقدير، كما أدَّى النقص الحاد في المياه ومواد التنظيف إلى اعتماد النِّساء والأمهات على مواد تنظيف بدائيَّة، ممَّا سبَّب لهنَّ الكثير من المشاكل، وأدَّى إلَى حدوث تشقُّقٍ في اليدين[١]، ولا شكَّ هناك العديد من التحدِّيات التي تعاني منها المرأة خلال الحرب، "فأنَا كفتاة عانَيتُ من صعوبة التَّأقلم مِن الحياة الجديدة التي فُرِضَت عليَّ في ظلِّ غياب الخصوصيَّة، فهي حياة لا تشبهني ولا تشبه طريقة حياتي، فكرة النُّزوح والعيش في خيمة، واستخدام حمام جماعيّ يفتقرُ إلى أدنى المقوَّمات جعل كل امرأة وفتاة تعيش أوضاعًا مأساوية"[٢].

وتتفاقم صعوبة النساء في ظلِّ النقص في الغذاء، وفقدان نساء لأزواجهن ومعيلي أسرهِنَّ، ورغم ذلك يواصِلْنَ رحلة البَحث عن الطَّعام وإعالة الأسر وحماية الأبناء، ولا تتوقَّفُ معاناة النِّساء في غزة عند هذا الحد فحسب؛ بل تتعرض الحوامل والمرضعات إلى مخاطر صحيَّة وسوء تغذية، بينما لا تستطيع النِّساء الأكبر سنًّا أن تصِلَ إلى أماكن توزيع الغذاء بسبب وضعهِنَّ.

وبحسب صندوق الأمم المتحدة للسُّكان فمن المتوقَّع أن تلِدَ أكثر من ٥٥٠٠ امرأة هذا الشهر، بينهنَّ ٨٤٠ امرأة من المحتمل أن يتعرضْنَ لمضاعفاتٍ صحيَّة، في ظلِّ تعطُّلِ الخدمات في المستشفيات ونفاد الوقود وانقطاع الكهرباء[٣]، وتظهر المعطيات الصحيَّة في قطاع غزَّة وجود تحدِّيات جمَّة تُواجِه النِّساء الحوامل، فمِنَ المرجَّح أن تُعانِي النِّساء من مضاعفاتٍ في الحمل والولادة يصعُبُ

(١) مقابلة: حنين، عاشور، ناشطة مجتمعية وسياسية، دير البلح ٥-مايو، ٢٠٢٤.

(٢) مقابلة: سحر، ماضي، ناشطة مجتمعية ونسائية، رفح ١٠- مايو ٢٠٢٤.

(٣) تقرير: يتجرعن مرارة هائلة.. تعرف بالأرقام على معاناة نساء غزة خلال الحرب، الجزيرة نت، الدوحة، ٨ مارس ٢٠٢٤.

علاجُهَا بسبَبِ نقص الرِّعاية الطبيَّة، هذا يعنِي أنَّ هناك احتمالًا كبيرًا لزيادة الولادات ضمن ظروف صحيَّةٍ غير آمنة، ممَّا يُشكِّلُ انتهاكًا خطيرًا لحقوق النِّساء، ويعرض حياتهنّ وحياة مواليدهنّ للخطر.

وتواجِهُ النِّساء في قطاع غزَّة أوضاعًا مأساوية خلال فترة الحمل والولادة، حيث يعانِين مِن صعوبة الوصولِ إلى المرافق الصحيَّة ومتابعة الحمل بسبب نقص الخدمات الطبيَّة والأدوية الضروريَّة، إذ يتم استخدام سيارات الإسعاف بصعوبة، وتعاني المستشفيات من نقص الإمدادات والوقود، بالإضافة إلى توقف ٨٥ مستشفى ومركز صحي عن تقديم الخدمات الصحية. إنَّ جميع هذه الظروف تزيد من حالات الإجهاض والوفاة خلال الولادة، وقد ذكرت منظمة كير (Care) أنَّ عدد الولادات المبكرة لدى النساء قد ارتفع بنسبة الثلث تقريبًا بسبب عوامل التَّوتر والصَّدمات، ومنهنَّ من أجهِضْنَ نتيجة الخوف، ممَّا أدى إلى ازدياد حالات الإجهاض بنسبة ٣٠٠%.[١]

بسببِ الحرب والعدوان الإسرائيلي خرجت كثير من العيادات والمستشفيات التي كانت تقدم الخدمات الصحيَّة للنساء عن الخدمة، ممَّا أدى إلَى تعرُّضِ كثير من النِّساء الحوامل للإجهاض، كما عانت النساء من نقص الخدمات الصحيَّة، خاصة النِّساء الحوامل اللواتي بالكاد أصبحْنَ يحصلن على أقلِّ رعاية صحيَّة خلال فترة الحمل، كما تعاني كثير من النِّساء من أعراض ما بعد الصَّدمة والاكتئاب، نتيجة مشاهد الدمار، والقتل، مما أثَّر في حالتِهنَّ النفسية[٢].

وتشير بيانات وإحصائيات وزارة الصحة الفلسطينية إلى خطورة وضع النساء في ظلِّ الحرب - وخاصة الحوامل على وجه التحديد- حيث يوجد حوالي ٦٠ ألف امرأة حامل في قطاع غزة يعانين ظروفًا صحيَّة في غاية الصعوبة بسبب عدم تلقي الرعاية، وكذلك بسبب توقف عدد كبير من المستشفيات عن العمل، وهذا يعني عدم وجود المكان المناسب والآمن للولادة، وهو ما قد يؤدي إلى ازدياد أعداد الوفيات من النساء بسبب ذلك.

لقد أشارت وزارة الصحَّة في تقاريرها إلى "أنَّ المخاوف المتعلقة بالصحَّة العامة تتزايد بشكل كبير ممَّا يؤثر على النساء، ويرجع ذلك إلى استمرار القصف، ونقص الإمدادات الغذائيَّة والمياه، وانهيار النظام الصحي، ومحدودية وصول المحتاجين إلى المساعدات العاجلة". كما أوضحت التقارير ذاتها أنَّ هناك ١٨٣ ولادة يوميًّا، وفي أعقاب الهجمات الإسرائيليَّة على المرافق الصحيَّة والعاملين فيها انخفضَتْ الموارد المتاحة لرعاية النساء الحوامل ومواليدهن، ممَّا اضطر بعضهن للولادة في خيام

(١) أوضاع المرأة الفلسطينية عشية يوم المرأة العالمي، ٢٠٢٤/٠٣/٠٨، الجهاز المركزي للإحصاء، رام الله فلسطين، ٧ مارس ٢٠٢٤، متاح https://www.pcbs.gov.ps/postar.aspx?lang=ar&ItemID=4707.

(٢) مقابلة: تغريد، جمعة، رئيس مجلس إدارة جمعية عايشة للمرأة والطفل، رفح فلسطين ٣- مايو ٢٠٢٤.

ومواقع غير صحيَّة، ويضاف إلى ذلك ارتفاع الولادات المبكرة، وحالات الإجهاض، وعدد الوفيات في الأطفال حديثي الولادة[١].

كما تعاني النساء الحوامل من سوء التغذية والجفاف حيث يواجهن فقرًا غذائيًّا حادًّا، حيث إن العديد من أطفالهنّ تتم ولادتهم ناقصي الوزن، ويعانون من مشاكل صحيَّة، كما تعاني الأمهات اللَّواتي يُرضِعْنَ أطفالهنّ من نقص إنتاج الحليب نتيجة لسوء التغذية، ومنَ الصَّعب توفير الحليب الصِّناعي لأطفالهنّ بسبب ندرته أو ارتفاع سعره إلى حد لا يمكن شراؤه، ممَّا يدفع الأمهات إلى اللُّجوء إلى بدائل غير كافية أو حتى غير آمنة لإرضاع أطفالهنّ.

كان للعدوان الإسرائيلي أثر كبير في الوضع الصحِّي للنِّساء في قطاع غزة بسبب نقص مستلزمات النَّظافة الصحيَّة، ممَّا يضطرهنَّ إلَى اللُّجوء إلى خيارات بدائية، إضافة إلى أن العديد من النساء تناولْنَ أدوية حبوب منع الحمل للحفاظ على الصِّحَّة الجنسيَّة والإنجابيَّة، كما تعرضت الكثيرُ منهنَّ إلَى الالتهابات النِّسائيَّة بسبب نقص الأدوية، وغياب العديد من منتجات النَّظافة النِّسائيَّة، وهذا أدَّى إلى تأثيره السَّلبي في صحتهنَّ النَّفسيَّة والجسديَّة، وبالتالي يعوق هذا الوضع الصحي المتراكم قدرتهنّ على العيش بكرامة ورفاهية، ويضعهنّ تحت ضغط نفسي وجسدي يؤثر في جودة حياتهنَّ بشكل عام[٢]. وخلال الحرب أصبحت النساء تعاني من صعوبات كبيرة في الحصول على الحاجات الأساسيَّة، ومن انعدام الخصوصيَّة في مراكز الإيواء، في ظلِّ نقص الغذاء والماء[٣].

نشرت مؤسسة "أكشن إيد فلسطين" تقريرًا صادمًا تحدَّث عن معاناة عشرات الآلاف من النساء الحوامل من الجوع الشديد وسوء التغذية، مما يحُدُّ من قدرتهنَّ على إرضاع أطفالهنَّ حديثي الولادة من خلال الرِّضاعة الطبيعيَّة. وأضافَتْ "أكشن إيد" أن ٥٠٠٠٠ امرأة حامل، و٦٨٠٠٠ مرضع في غزة- طبقًا لبيانات الأمم المتحدة- بحاجة إلى تدخُّلات وقائيَّة وعلاجيَّة وغذائيَّة فوريَّة لإنقاذ حياتهنَّ، إضافة إلى إصابة أكثر من ٨٠٠٠ طفل دون سن الخامسة بالهُزَال، ويهددهم تأخر النمو والمرض والوفاة. هذا علاوة عن معاناة أكثر من ٤٠٠٠ طفل من حالات الهُزَال الشديد[٤].

---

(١) المرأة الفلسطينية في يومها.. عندما تسقط الشعارات أمام رافعيها، وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية وفاء، ٧ مارس ٢٠٢٤، متاح https://wafa.ps/Pages/Details/91515.

(٢) أوضاع المرأة الفلسطينية عشية يوم المرأة العالمي، ٢٠٢٤/٠٣/٠٨، الجهاز المركزي للإحصاء، رام الله فلسطين، ٧ مارس ٢٠٢٤، متاح https://www.pcbs.gov.ps/postar.aspx?lang=ar&ItemID=4707.

(٣) مقابلة: حنين، عاشور، ناشطة مجتمعية وسياسية، دير البلح ٥-٥، ٢٠٢٤.

(٤) كيف تبدو أوضاع سيدات غزة في اليوم العالمي للمرأة؟، موقع BBC بالعربي، ٧ مارس ٢٠٢٤، متاح https://2u.pw/jxp31LSw.

كما أظهر تقرير التصنيف المرحلي المتكامل للأمن الغذائي خلال الشهور الأولى من الحرب ارتفاع خطر المجاعة في قطاع غزة، حيث أشار إلى أنَّ جميع السكان في قطاع غزة (نحو ٢.٢ مليون نسمة) يواجهون مستويات عالية من انعدام الأمن الغذائي الحاد، وتتحمَّلُ المرأة مسؤولية مضاعفة في هذه الحالات، فالمعطيات الصحيَّة في قطاع غزة أظهرَتْ وجود تحدِّيات جمَّة تواجه النساء الحوامل، إذ تشير إلى وجود نحو ٦٠ ألف امرأة حامل في القطاع، بمعدل ١٨٠ حالة ولادة يوميًّا[١] ومن المرجَّح أن تعاني نحو ١٥ في المائة من هؤلاء النساء مضاعفات الحمل والولادة التي يصعب علاجُهَا بسببِ نقص الرِّعايَةِ الطبيَّة، كما أن عدد الولادات المبكرة لدى النساء قد ارتفع بنسبة الثلث تقريبًا بسبب عوامل مثل التَّوتُّر والصَّدَمات، ومنهنَّ من أجهِضْنَ نتيجةَ الخوف، ممَّا أدَّى إلى ازدياد حالات الإجهاض بنسبة ٣٠٠ في المائة.

وطبقًا لتقديرات صندوق الأمم المتحدة للسُّكان- وهو وكالة دوليَّة تعمل على تعزيز حقوق النِّساء فيما يتعلق بالصحَّة الإنجابيَّة- وضعَتْ ٥٥٠٠ فلسطينيَّة حملهنَّ في غزَّة خلال الشَّهر الأوَّل من الصِّرَاع في ظلِّ نقصٍ رهيبٍ للإمدادات الطبيَّة، وقال الصُّندوق: إنَّ فلسطينيَّاتِ غزَّة يعشْنَ ظُروفًا لَا تُطاق فِي مراكز الإيواء، ولا يستطعْنَ استخدامَ دوراتِ الميَاه إلَّا بعد الوقوف في طوابير لفترات طويلة، ولا يجدْنَ المياه اللازمة للنظافة والاستحمام، ممَّا يؤدِّي إلى أزمة نظافة، وإصابة العديد منهن بأمراض نسائية، وأخرى معدية، ومع استمرار الحصار الإسرائيلي وإغلاق المعابر توقَّف إمداد فلسطينيَّات غزَّة بالمستلزمات الصحيَّة النسويَّة، وتفيد تقديرات الصندوق بأن حوالي ٧٠٠ ألف امرأة وفتاة فلسطينية لا يحصلْنَ خلال فترة الحيض "إلَّا على شكل محدود من منتجات النَّظافة الخاصَّة بالدَّورة الشهرية"؛ بل إنَّ بعضهُنَّ اضطررْنَ إلى تناوُلِ حبَّاتِ منع الحمل بهدف تعليق الدورة. [٢] حيثُ تتعرَّضُ النِّساء في ظلِّ الحرب إلى أبشع أنواع العنف الصحِّي نتيجة إغلاق المعابر ومنع دخول المساعدات، ممَّا أدَّى إلى انقطاع مستلزمات أساسيَّة للمرأة منها "الفوط الصحيَّة النِّسائيَّة"، وهي احتياج أساسيٌّ من احتياجات المرأة لا غنى غنها، حيثُ اضطرَّت بعض النِّساء إلى تناول حبوب منع الحمل من أجل إيقاف الدَّورة الشَّهرية أو تأجيلها في ظلِّ عدم الاستقرار والنُّزوح

(١) معاناة مضاعَفة للمرأة الفلسطينية خلال حرب غزة، جريدة الشرق الأوسط، لندن، ٧ مارس ٢٠٢٤، متاح https://2u.pw/AVluGvb8.

(٢) كيف تبدو أوضاع سيدات غزة في اليوم العالمي للمرأة؟، موقع BBC بالعربي، ٧ مارس ٢٠٢٤، متاح https://2u.pw/jxp31LSw.

المتكرر، الأمر الَّذي يعتبر كارثة على صحتهِنَّ الجسديَّة والنفسيَّة. [١] أمَّا النساء الحوامل منهنَّ فيقاسين ظروفًا تهدِّد حياتهنَّ، حيثُ إنهنَّ يواجهْنَ احتمال الولادة بعمليات قيصريَّة دون مسكنات أو تخدير أو تدخل جراحي أو حتَّى احتياطات صحيَّة.

(١) لوزان صالح، أمين عفانة، تقرير حول الانتهاكات التي تتعرض لها النساء الفلسطينيات في ظل الحرب بالنظر في نصوص القانون الدولي، الهيئة المستقلة لحقوق الإنسان، رام الله فلسطين، ٢٠٢٤، متاح https://m-r.pw/vsVr.

ثالثًا: الأوضاع الاجتماعيَّة والنفسيَّة للمرأة الفلسطينيَّة خلال الحرب.

وضعت الحرب المستمرة والمتصاعدة على قطاع غزة المرأة الفلسطينيَّة أمام تحدِّيات إضافيَّة، ففي ظلِّ نقص المواد الغذائيَّة وشح المياه، واضطرار الأسر الفلسطينيَّة للنزوح لأكثر من مرَّة تحت ضربات الاحتلال وممارساته العدوانية عانت المرأة من أوضاع نفسيَّة ومعيشيَّة غاية في الصُّعوبة والتَّعقيد، فقد تمَّ تسجيل الكثير من حالات العنف الأسرى نتيجة ضغوطات الوضع الأمني والاقتصادي والمعيشي، في ظلِّ استمرار الحرب والعدوان.

ففي غزَّة تعاني ١.١٠ مليون من الإناث، واللَّاتي تشكلْنَ ما نسبته ٤٩.٣% من سكان قطاع غزَّة، منهن حوالي ٥٤٦ ألف أنثى في سن الإنجاب (١٥- ٤٩) سنة، حيث أصبحت أكثر من ٩٠% منهنَّ مهجَّرات من منازلهنَّ ومناطق سكناهنَّ قسرًا وسط ظروف غير إنسانيَّة، وانعدام متطلبات الحد الأدنى من المعيشة، حيث تعاني النساء بشكل مكثَّف من تداعيات الهجوم الإسرائيلي، خاصَّة التَّهجير القسري.[١]، فالمرأة - كغيرها من فئات المجتمع- تتعرَّض لاستهداف خطير ومتصاعد؛ لكن واقع المرأة يعتبر الأصعب والأخطر لأسباب عديدة، وبالإضافة إلى ذلك تعتبر النساء - وخاصَّة الحوامل واللَّواتي أنجبن حديثًا- من أكثر فئات المجتمع هشاشة من النَّاحية الصحيَّة والجسديَّة، وعدم تلقيهنَّ الرعاية الملائمة يقود إلى تبعات تصل إلى حدِّ الإصابة بالأمراض الخطيرة والوفاة، حيث إنَّ استهداف النِّساء بشكل كبير وملحوظ يأتي في سياق استهداف نسيج المجتمع الفلسطيني بشكل عام، والصِّراع الدِّيمغرافي مع الاحتلال.[٢]

تُعانِي المرأة في ظلِّ الحرب منَ انعدام الأمن الغذائي، وزيادة حالات الفقر والبطالة في صفوف النِّساء نتيجة التَّداعيات السَّلبيَّة لاستمرار الحربِ والعدوان، خاصَّة في ظلِّ زيادة معدلات الأسر الَّتي تعيلها النساء نتيجة استشهاد الأزواج أو الأبناء أو أسرهم، فالمرأة الفلسطينيَّة وجدَتْ نفسها مضطرَّة لتحمُّل عبء أسر بكاملها، وتلبية احتياجاتها من مأكل ومشرب وملبس[٣]. لقَد شكَّل غياب غاز الطهي، واستخدام الحطب في إعداد الطعام، والحصول على المياه النظيفة تحدِّيات جمّة بالنسبة للنِّساء، ناهيك عن صعوبة التأقلم مع طبيعة العيش في خيام، الَّتِي لا تقي من برد الشِّتاء ولا حرِّ الصَّيف، كمَا أنَّ المرأة أصبحت تعاني من زيادة معدلات الشعور بالخوف والقلق على

---

(١) لوزان صالح، أمين عفانة، تقرير حول الانتهاكات التي تتعرض لها النساء الفلسطينيات في ظل الحرب بالنظر في نصوص القانون الدولي، الهيئة المستقلة لحقوق الإنسان، رام الله فلسطين، ٢٠٢٤، متاح https://m-r.pw/vsVr.

(٢) المرأة الفلسطينية في يومها.. عندما تسقط الشعارات أمام رافعها، وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية وفاء، ٧ مارس ٢٠٢٤، متاح https://wafa.ps/Pages/Details/91515.

(٣) مقابلة: تغريد، جمعة، رئيس مجلس إدارة جمعية عايشة للمرأة والطفل، رفح فلسطين ٣- مايو ٢٠٢٤.

مستقبل الأسرة والأولاد من القصف الإسرائيلي، مما سبب العديد من الاضطرابات النفسيَّة نتيجة زيادة معدلات العنف الأسرى والمجتمعي، الناتج عن الفقر والبطالة، وقلة الموارد[١].

في ظلِّ هذه الحرب أخذتِ المرأة الفلسطينيَّة في القطاع على عاتقها مهماتٍ كثيرةٍ، معظمها أعمال شاقَّة لا تتناسب مع طبيعتها الجسديَّة، مِن بينها اقتناء وقطع الحطب والأخشاب لطهي رغيف خبز، والجلوس أمام فرن من الطين ينبعث منه دخان احتراق الخشب والأوراق حيث يسبب أمراضًا في الجهاز التنفسي.[٢]

قالت هيئة الأمم المتحدة للمرأة: إنَّ الحصول على المياه النَّظيفة أمر بالغ الأهمية بشكل خاص للأمهات المرضعات والحوامل، اللواتي لديهن احتياجات مائيَّة يوميَّة أكبر، كما أنَّ الماء ضروري لتمكين النِّساء والفتيات من التعامل مع نظافة الدَّورة الشَّهريَّة بكرامة وأمان، ونقلت الوكالة عن امرأة من غزَّة - لم تذكر اسمها- قولها: "في غزَّة، لا نستطيع تلبية أبسط، أبسط احتياجاتنا: تناول الطعام بشكل جيد، وشرب المياه الصالحة، والوصول إلى المرحاض، والفوط الصحية، والاستحمام، وتغيير ملابسنا"[٣].

كما نشر أحد مواطني شمال قطاع غزة على حسابه في موقع التواصل الاجتماعي (فيسبوك) منشورًا أشار فيه إلى أنه تمكن من الحصول أخيرًا على كميَّة ضئيلة جدًّا من الطَّعام - مقدارها غرامات قليلة من اللَّحم وحوالي كوب من الأرز- لزوجته التي أنجبت حديثًا، وذلك بعد بحث استمر خمسة أيام متواصلة، هذه الحالة تلخِّص جزءًا من ظروف معيشيَّة وصحيَّة كارثيَّة وغير مسبوقة وصلت إليها النساء في قطاع غزة، في ظلِّ استمرار العدوان وحرب الإبادة منذ خمسة أشهر[٤].

كمَا يُؤدِّي ارتفاع الأسعار، ونقص المواد، وغياب الخصوصيَّة الأسريَّة، وزيادة حالات التحرُّش الجنسي في مراكز الإيواء، نتيجة التقارب الشديد بين خيام النَّازحين، والاعتماد على الحمامات الجماعيَّة، ممَّا يؤدي إلى زيادة الضُّغوطات النفسيَّة والاجتماعيَّة، حيث يتعرَّض الكثير من الفتيات والنساء لمظاهر التحرُّش الجنسي واللَّفظي، والاعتداء على خصوصيتهنَّ، بالإضافة إلى مشاعر الصَّدمة نتيجة فقدان الزَّوج أو الابن أو الأخ نتيجة استمرار العدوان الإسرائيلي، كما أسهم ذلك

---

(١) مقابلة: سحر، ماضي، ناشطة مجتمعية ونسائية، رفح ١٠- مايو ٢٠٢٤.

(٢) كيف تبدو أوضاع سيدات غزة في اليوم العالمي للمرأة؟، موقع BBCبالعربي، ٧ مارس ٢٠٢٤، متاح https://2u.pw/jxp31LSw.

(٣) هيئة الأمم المتحدة للمرأة: الحرب على غزة هي حرب على النساء، موقع الأمم المتحدة بالعربي، ١٦ أبريل ٢٠٢٤، متاح https://news.un.org/ar/story/2024/04/1130081.

(٤) المرأة الفلسطينية في يومها.. عندما تسقط الشعارات أمام رافعيها، وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية وفاء، ٧ مارس ٢٠٢٤، متاح https://wafa.ps/Pages/Details/91515.

الأمر في تولّي كثير من النِّساء مسؤولية توفير احتياجات الأسرة من مأكل ومشرب وملبس في ظلِّ التحدِّيات الكبيرة، والصُّعوبات الجمَّة، بسبب نقص المواد وارتفاع الأسعار.

لقد أفادَتْ شهادات حيَّة من قِبَل بعض النساء النَّازحات في خيام غرب مدينة رفح تعرضهنَّ للكثير من المضايقات نتيجة التقارب الشَّديد بين خيام النَّازحين، وغياب الخصوصيَّة، والاعتماد على المراحيض الجماعيَّة، والوقف في طوابير المساعدات، والانتظار في طوابير الخبز والمياه. حيث أفادَتْ إحدَى النَّازحات أنَّها تعرَّضَتْ هي وبنتها لتحرُّش دائم لفظي وسلوكي من قِبَل بعض الشَّباب والرِّجال في نفس المخيم الجماعي، كما أفادت إحدَى النِّساء أنها تتحمل عبءَ مرافقة كلِّ بنت من بناتها عند الذَّهاب إِلَى الحمَّام الجماعي[١].

وتُواجِه النِّساء في غزّة من دون كللٍ أو مللٍ تحدِّيات الحصار القاسي، ويسعينَ بكُلِّ جهدٍ لتوفير الطَّعام والمأوى لأطفالهنّ، بينما تُدمّر الغارات الجويَّة المناطق المُحيطة بهنّ، وقد كشَفَ تقريرٌ لمجموعة خبراء بالأمم المتحدة أنّ نساء وفتيات فلسطينيَّات تعرضْنَ للإعدام تعسفيًّا[٢]، ونستنتج مما سبق أنَّ المرأة قد أخذت دورًا أكبر من قدرتها خلال الحرب، فالحرب فرضت حربًا اجتماعيَّة واقتصاديَّة على المرأة في ظلِّ ارتفاع أسعار المواد الغذائيَّة، كما أنَّ الحربَ قد فَرَضَتْ أجندة جديدة على المرأة والمؤسسات النَّسوية لا تتعلَّق بتطوير واقع المرأة علَى المستويين السِّياسي والاجتماعي، وبات الحديث عن ضرورة تقديم خدمات الإغاثة وتقديم الدَّعم النفسيِّ والاجتماعيِّ من الآن كأولوية فرضَتْها الحرب على المرأة[٣].

ظهرَتْ دراسة أعدَّها البنكُ الدَّولي بالتَّعاون معَ الجهاز المركزيِّ للإحصاء الفلسطينيِّ حول الصِّحَّة النفسيَّة وحول أثر الحرب الَّتِي شنَّها الاحتلال الاسرائيلي على القطاع في العام ٢٠٢١، وتم جمع بياناتها في الربع الأول من العام ٢٠٢٢، وتمخَّضَتْ عن أنَّ ٧١% من سكان قطاع غزة (١٨ سنة فأكثر) مصابون بالاكتئاب بسبب العدوان على القطاع، في حين أنَّ مستويات الاكتئاب كانت متشابهة بين النِّساء والرجال، وأنَّ توتُّر الصحة النفسيَّة أصبح أكثر سوءًا في قطاع غزَّة خلال العدوان، حيث إنَّه لا مكان آمن بالنسبة لسكان القطاع، وكذلك اضطرابات الصِّحَّة النفسيَّة الشائعة حيث إنَّ العلاقة طرديَّة بين الفقر المدقع واضطرابات الصحَّة النفسيَّة، وعليه فإنَّ جميع الأطفال والنِّساء في قطاع غزة تعرضوا إلى جميع أنواع الاضطرابات النفسيَّة بسبب العدوان الإسرائيلي، وهؤلاء الأشخاص يعانون من آثار سلبيَّة على صحتهم النفسيَّة والاجتماعيَّة نتيجة للظُّروف الصَّعبة التي يعيشونها، وتتضمَّن هذه الآثار تدهور الصحَّة النفسيَّة، وارتفاع معدلات

(١) مقابلة: مع أحد النازحات، فضلت عدم ذكر اسمها، رفح فلسطين، ٨-٤-٢٠٢٤.

(٢) غوري، النكت، كل التضامن مع المرأة الفلسطينية في اليوم العالمي للمرأة، غرينتش الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، ٨ مارس ٢٠٢٤، متاح https://m-r.pw/mHlU.

(٣) مقابلة: مها المصري، منسقة مكتب غزة لجمعية المرأة الريفية، دير البلح فلسطين ١-٥-٢٠٢٤.

القلق والاكتئاب، وضعف العلاقات الاجتماعيَّة، وصعوبة التكيُّف مع الوضع الجديد[١].

خلال الحرب يتزايد الشعور لدَى النساء الفلسطينيَّات بانعدام الأمن والأمان في ظلِّ العدوان وما نجم عنه من قصف، وقتل، وتهجير قسري، وتدمير، ومحاصرة، وحرمان من الحصول على أبسط مقومات الحياة الأساسيَّة والبقاء، وفقدان البيت الَّذي يشكِّلُ مفهوم الأمان الأسري والعائلي بالنسبة إليهنَّ، ووضعهنَّ في دائرة التأهُّب الدائم لحماية أسرهنَّ من هذه الممارسات، وازدياد الضُّغوط النفسيَّة لدى النِّساء كالشُّعور بالتوتر والقلق والانفعال وتوقع الموت الوشيك في كلِّ وأية لحظة، وغيرها من الانتهاكات الجسيمة التي تطالهنَّ نتيجة هذا العدوان، ولا تقتصر معاناة النساء الفلسطينيَّات على ما يعايشنَه ويشهدْنَه في هذا العدوان، وإنَّما أيضًا تمتد إلى ما بعده، خاصَّة وأنَّ النساء الفلسطينيَّات تضطر إلى الكفاح بشكل مضاعف وفق ما تفرضه الظروف الناجمة عن العدوان الإسرائيلي من أجل تأمين حياة آمنة لأسرهنَّ، وتوفير الحماية للأطفال، وتقديم كافَّة أشكال الدَّعم النَّفسي والمعنوي والمادي لأسرهنَّ، والتَّعاطي مع كلِّ ما يتعلق بالاضطرابات والمخاوف التي تنتاب الأسرة خلال العدوان وما بعده، رغم حاجتهنَّ هنَّ أيضًا لمثل هذا الدعم وأكثر، وتبدل الأدوار وتقسيمها وفق الواقع الحالي المعاش، حيث إنَّ نتائج هذا العدوان تعود على النساء الفلسطينيَّات بشكل أكثر حدة، لأنَّه يصبح على عاتقهنَّ الاستمرار في أدوارهنَّ، وتقديم أدوار إضافيَّة متوقعة منهنَّ، رغم ما وقع عليهنَّ من ظلم وانتهاكات بحقهنَّ نتيجة هذا العدوان[٢].

كما تعانِي الآلاف من النِّساء من الأجواء الباردة، مع عدم توفُّر أغطية وفرش ملائمة، فضلًا عن الافتقار للملابس الشتويَّة، حيث اضطرَّت غالبيتهنَّ للنزوح المتكرر، وفي كلِّ مرَّة كنَّ يفقدْنَ أمتعتهنَّ ومستلزماتهنَّ الأساسيَّة، وتُعاني غالبيَّة النساء - كما هو الحال بالنسبة لجميع النَّازحين- من جوع حقيقيٍّ وافتقارٍ كبير للمواد الغذائيَّة، وتزداد معاناة النِّساء الحوامل والمرضعات، في وقت يعتمد أغلب السُّكان على وجبة واحدةٍ محدودة في اليوم إن توفَّرت، كما تعاني النساء المسنَّات من صعوبة توفير أدوية الأمراض المزمنة، وأوضاع صعبة في البرد الشديد في الخيام وأماكن النزوح، وعدم القدرة على قضاء حاجتهنَّ معَ النقص الكبير في الحمامات، ونقص المياه أيضًا[٣].

وعلى المستوى الاجتماعي باتت تتحمَّل المرأةُ العبْءَ الأكبر في تلبية احتياجات الأسرة، حيث تعاني النساء من صعوبة تحضير الطَّعام، وتنظيف الخيام، كمَا أصبحَتْ تعاني من فقدان الخصوصيَّة،

(١) "أطفال ونساء قطاع غزة يواجهون كارثة إنسانية غير مسبوقة" الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، ٢٤ أكتوبر ٢٠٢٣، متاح https://2u.pw/hh83upA6.

(٢) البرغوثي، رزان، أثر العدوان الإسرائيلي على النساء الفلسطينيات، المؤسسة الفلسطينية للتمكين والتنمية المحلية، رام الله فلسطين، ٢٢ ديسمبر ٢٠٢٣، متاح https://2u.pw/zZnfSrcK.

(٣) الهجوم العسكري الإسرائيلي على غزة يضاعف معاناة النساء، مؤسسة الضمير لحقوق الإنسان، غزة فلسطين ٢٣ ديسمبر ٢٠٢٣، متاح https://2u.pw/E0E6UuYf.

نتيجة عدم توفر حمام خاصٍ بالأسرة، لذلك تضطرُّ النِّساءُ لاستخدامِ مراحيض جماعيَّة، ممَّا يسبِّب كثيرًا من المشاكل، والتَّحرُّش الجنسي واللفظي[١]، ورغم ذلك تتَّصف المرأة الفلسطينيَّة بالشَّجاعة، والقوّة، والمحبَّة، والذَّكاء والقدرة على الصُّمود والتحمّل، إنّها تستحقُّ العيشَ بسلام وعدلٍ وكرامة لكي تزدهر. لذلك فإنَّ التَّضامنَ مع النِّساء الفلسطينيَّات اللَّواتي يناضلنَ من أجل السَّلام والحريَّة والعدالة هو تضامن مع نساء العالم، وهي دعوة لنا جميعًا لاستعادة الإنسانيَّة، فيجب علينا أن نتحد تضامنًا مع جميع النِّساء والفتيات اللَّواتي يعانين من الآثار القاسية للصِّراعات الوحشيَّة في جميع أنحاء العالم، إنّ العدالة الحقيقيَّة تتطلَّبُ الاعترافَ بمعاناتهنَّ وتحدياتهنَّ المُتعدِّدة والمُعقّدة[٢]، وبشكل عام تعاني المرأة الفلسطينيَّة أوضاعًا غاية في الصُّعوبة والتَّعقيد، ويمكن إيجاز هذه التَّحدِّيات الاجتماعيَّة والإنسانيَّة في النقاط التَّالية[٣]:

- المرأة الفلسطينية هي أكثر من يعاني في هذه الحرب، لأنَّها تتحمَّل تبعات كلِّ الإجرام الصُّهيوني الممنهج ضد شعبنا، فهي تخاف على أبنائها منَ العدوان، وتحتضنهم لتخفِّف من خوفهم.

- تبعات الحرب غيّرت واقع الحياة لدى المرأة، فمثلًا تحوَّلت مهمة الطهي على الغاز إلى طهي على الحطب، في ظلِّ عدم توفُّر المواد الغذائيَّة، ومكوِّنات ومقوِّمات الطَّبخات المعتادة، ممَّا يضطرُّها إلَى اختراع أكلات غير مألوفة، كما أنَّ "الجَلْيَ" والتنظيف يحتاجان إلى نقل كميَّاتٍ كبيرة من المياه يوميًّا باستخدام "غالونات" يتم حملها بشكل يدوي، والغسيل قد تحوَّل من غسَّالة أوتوماتيكيَّة إلى غسيل يدويٍّ.

- في ظلِّ الحصار الخانق المفروض على قطاع غزَّة، ونفاد الكثير من أساسيَّات الحياة الموجودة في القطاع تعاني المرأة أيضًا من مشاكل في تدبير أمور الحياة لعدم توفُّر أدوات المطبخ مثلًا الَّتي تفقدها مع كل ترحال من مكان لآخر.

- في ظلِّ عدم توفُّر الفواكه والخضار والحلويات واللُّحوم والبيض والطحين تقفُ المرأةُ عاجزةً أمامَ سدِّ جوع أطفالها.

- الازدحام الشَّديد، والحياة في الخيم، وقلة الخدمات الصحيَّة، وعدم توفر الأدوية، وتلوث المياه، وسوء التغذية، كلها أمور أسهمت في انتشار الأوبئة والأمراض الموسميَّة والجلديَّة والمناعيَّة وحشرات الرأس لدَى الأطفال، مما شكّل ضغطًا كبيرًا على المرأة لملازمة أطفالها ومتابعة علاجهم.

---

(١) مقابلة: مها المصري، منسقة مكتب غزة لجمعية المرأة الريفية، دير البلح فلسطين ١-٥-٢٠٢٤.

(٢) غوري، النكت، كل التضامن مع المرأة الفلسطينية في اليوم العالمي للمرأة، غرينتش الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، ٨ مارس ٢٠٢٤، متاح https://m-r.pw/mHlU.

(٣) المرأة الفلسطينية أكثر من يعاني في الحرب على غزة، الجزيرة نت، مرجع سابق.

- عدم الاستقرار وحياة التنقُّل التي يفرِضُها الاحتلال، بطلبه من سكان قطاع غزة إخلاء منطقة ما والانتقال إلى منطقة أخرى، ومن ثمَّ يطلب إخلاء المنطقة التالية وهكذا، هذا الواقع الجديد فرض على المرأة ضرورة التَّأقلم السَّريع مع كلِّ منطقة ترحل إليها، ممَّا سبَّب لدى النِّساء مشاعر الفوضى، وعدم الاستقرار، والخوف، وعدم الأمان.

خاتمة

تعرَّضَت المرأة الفلسطينيَّة - وعلى مدى عقود- لهجوم متعدِّد الطبقات من التمييز والعنف الفظيع الممنهج بسبب الاحتلال الاسرائيلي، والحرمان من حقِّ تقرير المصير، إنَّ الاعتداء على كرامة النِّساء الفلسطينيَّات وحقوقهنَّ اتخذ أبعادًا جديدة ومرعبة منذ ٧ أكتوبر، حيث أصبحت الآلاف منهنَّ ضحايا لجرائم الحرب، والجرائم ضد الإنسانية، والإبادة الجماعيَّة، فالنِّساء في هذا الصِّراع ينتمين إلى جميع مناحي الحياة، ومن بينهنَّ صحفيَّات، وعاملات في الطَّواقم الطبيَّة، وموظَّفات في الأمم المتَّحدة، وعضوات في منظمات المجتمع المدني، إنَّ الوضع الَّذي تُواجهُه النِّساء والفتيات العالقات في الصِّراع يتجاوزُ الكارثةَ، وأيضًا نقص الغذاء والماء ومستلزمات النظافة في جميع أنحاء غزَّة - وخصوصًا في أماكن النزوح - يخلق عوامل خطر للنِّساء والفتيات، فيما تُعرِّضُ الضربات والعمليات العسكرية حياتهن للخطر.

لقد غيرت الحرب والعدوان الإسرائيلي المستمر على قطاع غزة أجندة المرأة الفلسطينيَّة ومؤسَّساتها العاملة، فبعد الإنجازات التي تحققت خلال السَّنوات الماضية في قضايا المشاركة السِّياسيَّة والمجتمعيَّة للمرأة بات التركيز ينصبُّ الآن ومستقبلًا على الجهد الإغاثي، وخدمات الدَّعم النَّفسي والاجتماعي في ظلِّ استمرار حرب الإبادة الجماعيَّة التي ليس هناك منظور قريب لنهايتها.